الأعجام والشكل

فى الكتابة الخطية العربية

للأستاذ حسن عبد الجواد المحامى

الاعجام هو النقط والشكل معروف . والفقهاء على أن الأمرين من وضع العرب وكلاهما على جانب كبير من الأهمية ، ووليد حاجة شديدة إليه .

حدث أن عبارات خالية من النقط قرئت على عكس ما أراد كاتبها ، فوقع الضرر ، فهب جماعة من المفكرين إلى ايجاد الاعجام لتفادى الوقوع فى الضرر مرة أخرى . وإليك مثل مما حدث نسوقه كدليل على أهمية الاعجام

كتب سليمان بن عبد الملك إلى عامله يقول له (احص المختنين من قبلك) ولما كانت العبارة خالية من النقط قرأها العامل (اخص المختثين .) واضعا الخاء محل الحاء وقام يخصي هؤلاء المساكين حتى سمى هذا العهد بعهد الختان الأكبر (١) وذلك لانهم ماتوا جميعا عدا رجلين (٢)

ولم يكن الاعجام موجودا فى أول عهد وجدت فيه الحروف (على خلاف سيأتى) ولم يكن - بعد وجوده - مستخدما إلا حيث تمس الحاجة ، ثم صار بعد ذلك عاما ، وفى ذلك تسهيل للقراء ، وأمن من اللبس ، وهو أولى من صرف الوقت في توجيه الكلمات الخالية من الاعجام توجيهات مختلفة حتى تلائم المقصود

والشكل لا يقل أهمية عن الاعجام ، ولم يلجأ اليه الكتاب الالماس الحاجة أيضا ويسوقون فى ذلك الحادثة المعروفة . وهى أن ابنة أبى الأسود الدؤلى نظرت متعجبة الى السماء وقالت ما أحسن السماء (بضم النون) فصححها لها أبوها قائلا ما أحسن السماء (بفتح النون) وكان هذا أول باعث على وضع النحو . واسترشد أبو الأسود في وضعه بما كان عليه الامام على كرم الله وجهه من الحكمة والذكاء .

إلا أن أبا الأسود الدؤلى كان ضنينا بما علمه الامام على كرم الله وجهه . خصوصا بعد عزله من ولاية البصرة ، فدبر بعضهم حيلة دفعت بأبى الاسود الى اخراج ما تعلمه ، فأوحوا

---

(١) راجع أدب الكتاب لابن يحي الصولي ص ٥٩ (٢) قارن صبح الاعشى ص ١٥٤ اذ يقول أن جعفرا المتوكل هو الذى كتب الى عامله بذلك .. الخ الخ

الى قارىء أن يتلو قوله تعالى (إن الله برىء من المشركين ورسوله) وأن يكسر اللام فاذا بأبى الاسود يرجع عما كان عليه ، وطلب ثلاثين كاتبا اختار منهم عبدالقيس ، وصار يقرأ له القرآن ، وعلمه كيف يضع الشكل بمداد مخالف زيادة في الايضاح وتمييزاً للشكل عن النقط ، وذلك لان الشكل فى هذا العهد كان بطريق النقط ، لا بالطريقة التى نألفها اليوم (حسبما سنفصله بعد) . فكانت الفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة نقطة تحته والضمة عن يساره والتنوين نقطتين . (١)

وقد سمى الشكل شكلا لأنه يدل على شكل الحروف ، ومنعا لأن تتشكل بأى شكل وقصر لها على شكل واحد ، وقال بعضهم لانه يقيد الحروف ويضعها فى مأمن من عثرة اللسان عند النطق بها . شأن الشكال الذى يقيد الدابة فلا تهرب وقال أبو تمام فى هذا : ـ

ترى الأمر معجوما إذا كان معجما لديه ومشكولا إذا كان مشكولا

وقد سمى الاعجام اعجاما لانه مذلل للأعاجم الصعوبة التي يلاقونها عند قراءة الكتابة العربية ، والتمييز بين حروفها ، وذلك على أثر اختلاطهم بالعرب نتيجة فتوحاتهم العظيمة

ويقول صاحب كتاب انتشار الخط العربي ص ٢٩ (سمى الاعجام اعجاما لان الاعجام فى المعنى الاصلى هو التكلم على طريقة الاعاجم ، كما أن الاعراب هو التكلم على طريقة العرب) وهو ليس سببا لاختيار اللفظ كما هو ظاهر .

وفى مسيس الحاجة الى الاعجام يقول محمد بن عمر المدائنى (ينبغى للكاتب أن يعجم كتابه ، و يبين اعرابه ، فانه متى أعراه عن الضبط وأخلاه عن الشكل والنقط ، كثر فيه التصحيف ، وغلب عليه التحريف)

وقال ابن عباس رضى الله عنه (لكل شىء نور ونور الكتاب العجم)

قال أبو مالك الحضرمى : أي قلم لم تعجم فصوله استعجم محصوله : وقال بعضهم (الخطوط المعجمة كالبرود المعلمة) (٢) .

---

(١) تاريخ الادب أو حياة اللغة العربية ج ٢ ص ٨٥

(٢) راجع فى ذلك صبح الاعشى ص ١٥٣ ، ١٦١ اذ جمع أقوال الادباء فى الحاجة الى النقط وفى الحث على الشكل

وفى الحث على الشكل يقول هشام بن عبد الملك «اشكلوا قرائن الآداب لئلا تند عن الصواب»

و يقول شاعر: —

وكأن أحرف خطه شجر والشكل فى أغصانه ثمر

وان كان الشكل والنقط ضروريين الى هذا الحد. الا أن جماعة من الكتاب رغبوا عنهما إلا لأمن اللبس، و يقولون فى سبب ذلك (لئلا يظلم الخط من غير فائدة) (١)

و يقول بعضهم بتركها حتى فى حالات اللبس اذا كانت الكتابة من صغير الى كبير تعظيما لشأن هذا وتنزيها لمداركه، وتظهر تلك الروح فى قول المدائنى (كثرة النقط فى الكتاب سوء ظن بالمكتوب اليه) وقال عبدالله بن طاهر عن خط عرض عليه (ما أحسنه لو أنه — يريد كاتبه — اكثر شونزه (٢)

أما الذين كرهوا الشكل فهم أقلية ضئيلة شأن الذين كرهو النقط ومنهم سعيد بن حميد اذ يقول (لأن يشكل الحرف على القارىء أحب الى من أن يعاب الكاتب بالشكل) ونظر محمد بن عباد الى أبى عبيد وهو يقيد البسملة فقال: لو عرفته ماشكلته. وقد جرد الصحابة — رضوان الله عليهم — المصحف حين جمعوا القرآن من النقط والشكل وهو أجدر بهما فلو كان مطلوبا لما جردوه منه (٣)

وغير هذا الكاتب فئة من الكتاب ذكرهم القلقشندى فى كتابه. ونحن أمام فتور الاسباب التى كرهوا من أجلها الشكل أو النقط ووهن حجتهم فيما أدلوا به لانجاريهم فى رأيهم. ونرى أن النقط والشكل ضروريان، لانه أولى من ضياع الوقت فى توجيه القراءة وجهها الصحيحة من طريق تقليب الحرف على أوجه مختلفة حتى يتلاءم و يتمشى مع المعنى المطلوب من طريق أسهل وأبسط، وهو الشكل والنقط دون إعمال فى الفكر واجهاد فى العقل، ولان المعقول عادة الوصول الى النتائج السليمة من أسهل الطرق وأبسطها لا من أكثرها تعقيدا وأقلها انتاجا. وحسبنا ماتراه من اعتبار اهمال النقط خطأ فى الكتابة

---

(١) ص ١٥٤ صبح الاعشى

(٢) وهذا مافسره حفنى بك فى كتابه .. بأن الشونيز هى الحبة السوداء — و يقول ان معنى هذا القول أن عبدالله بن طاهر يصور النقط بالحبة السوداء وقد نثرت فوق الكتابة .. ص ٨٧ ..

(٣) راجع صبح الاعشى ص ٦١.

أما عن الذين وضعوا الشكل والنقط فقد سبق تعرضنا إلى هذا ، وقلنا ان أبا الاسود الدؤلى هو الذى وضع الشكل وذكرنا سبب ذلك : ويقول أستاذنا المرحوم حفنى بك ناصف أنه اشتهر بعد أبى الاسود ممن أخذ عنه عنبسة الفيل وميمون والاعرج ويحيى ابن يعمر ونصر بن عاصم وعبد الله بن اسحق وعطاء بن أبى الاسود .

ويقول بعض الكتاب إن أبا الاسود الدؤلى هو أيضاً أول من وضع النقط فيكون بذلك أبو الأسود أول من وضع النقط وأول من وضع الشكل .

وذهب القلقشندي مذهبا معقولا وهو احتمال أن يكون النقط الذي قالوا عنه أنه من وضع أبى الاسود الدؤلى هو الشكل (١) . وهو وجيه ، لأن الشكل بدأ بطريق النقط .

ولا ننسى أننا فى مقال سابق ونحن نتكلم عن الآراء المختلفة فى أول من وضع الحروف ، قلنا أن عامرا وضع الاعجام مشتركا مع مرامر وأسلم ، فى وضع الحروف العربية .

ويقول المرحوم حفني بك ناصف ، إن الاعجام ليس من عمل كتاب الاسلام فى عهد عبد الملك بن مروان كما يذهب الكتاب بل هو سابق على الاسلام ، واستدل بالرأى الذي قلناه هنا من أن عامرا أول من وضع الاعجام . وبأن المعقول أن ينشأ الاعجام مع الحروف — وهى ناشئة قبل الاسلام — منعا من اللبس لاتحاد صور كثير من الحروف ولان التاريخ أثبت وجود كتابات منقوطة قبل الاسلام (٢)

وليس معنى هذا الاجماع على أن أبا الاسود هو الذى وضع الشكل وأن الخلاف قائم على النقط بل ليقوم الخلاف أيضا على أول من وضع الشكل وفي ذلك ثلاثة آراء (أولها) أن أبا الاسود هو الذى وضعه (وثانيها) أنه نصر بن عاصم الليثى (وثالثها) أنه يحيى بن يعمر .

ونحن على قول القلقشندي فى أن أبا الأسود — وعلى قول أكثر العلماء — هو الذي وضع الشكل لثبات ذلك بأدلة ظاهرة وحوادث كثيرة .

وسبق فصلنا أن الشكل الذى جاء به أبو الأسود الدؤلى كان بوضع نقطة فوق الحرف أو تحته أو عن يساره لتمثيل الفتحة والكسرة والضمة على التوالي أو بوضع نقطتين لتمثيل التنوين .

والنقط توضع اما مستديرة ، أو مربعة ، والمستديرة مسدودة وخالية

ولا داعى هنا لبيان الحروف المنقوطة أو غير المنقوطة ، لأن ذلك معروف طبعا . غير أنه من الضرورى الاشارة إلى مانبه إليه الكتاب من ضرورة وضع النقطتين — إن

(١) ص ١٥٥ (٢) راجع في ذلك تفصيلا هاما بكتابه ص ٨٨ وما بعدها

كانتا على حرف واحد يجاوره آخر منقوط — واحدة فوق الأخرى . وذلك منعا للبس من وضع نقط الحروف فى الكلمة الواحدة على سطر واحد (١)

وصور الشكل سبع (أولها) السكون ورسمه المتأخرون دائرة ويسمى الجزم أيضا (وثانيها) الفتح واسمه أيضا نصبة (وثالثها) الضم (ورابعها) الكسر واسمه أيضا خفضة (وخامسها) التشديد وهو رأس شين (٢) (وسادسها) الهمزة وهى رأس عين (وسابعها) علامة الصلة فى ألفات الوصل ورسمها المتأخرون صاداً لطيفة (على حد تعبير — ضوء الصبح — الذى نقلها عنه القلقشندى لعدم ظهورها فى الأصل الذى أخذ منه بيانه)

ولا يفوتنا أن نذكر أن بين الصور القديمة للشكل والصور التي نراها اليوم صورا أخرى غير هذه، وتلك أتى عليها المرحوم حفنى بك ناصف فى كتابه (٣) وهذا ما تقتضيه سنة التكوين والتدرج الى ما هو أرقي شيئا فشيئا

و يلاحظ أن الشكل وقت أن بدأ بوضع نقط تحت الحرف أو فوقه الخ كان مدعاة للبس مما حدا بالكتاب الى استعمال مداد يخالف فى اللون المداد المكتوبة به الحروف حتى ان أهل الأندلس كانوا يستعملون أربعة ألوان لكتابة المصاحف (الاسود للحروف والاحمر للشكل بالنقط — والاصفر للهمزات — والاخضر لالفات الوصل) (٤) .

ولكن بعد تمييز الشكل عن النقط بالعلامات السابق ذكرها لم يعد حاجة لمضيعة الوقت فى استعمال أكثر من مداد واحد لعدم وجود ما يدعو الى لبس أو ابهام ؟

حسن عبد الجواد المحامى

---

(١) صبح الأعشى ص ١٥٦

(٢) و يقول القلقشندى لعلها كذلك لان الشين أول حرف من حروف شديد (٣) راجع ص ٨٦ ج ٢ فى تاريخ الادب وص ٩٦ فى الشكل بطريق الحروف الصغيرة . (٤) راجع حياة اللغة العربية ص ٨٧

اقرأ المعرفة شهرياً

فهى المجلة المصرية

التى تعنى بالثقافة الشرقية والمعارف العربية